الصاعقة السابعة عشرة: بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا(*)

بأبي الشموسُ الجانحاتُ غوارِبَا ... اللابساتُ منَ الحَريرِ جلابَبَا
المُنْهِباتُ عقولنَا وقُلُوبَنَا ... وجناتِهِنّ الناهِباتِ النّاهِبَا(١)
الناعماتُ القاتلاتُ المُحيياتُ ... المُبدياتُ منَ الدّلالِ غرائبَا
حاولنَ تفديتي وخفنَ مُراقِبا ... فَوَضَعنَ أيديهن فوقَ ترائبَا
وبسمْنَ عنْ بَرَدٍ خشيتُ أذيبُهُ ... منْ حَرّ أنْفاسي فكُنتُ الذائبَا
يا حبذا المتحمّلُونَ وحَبّذا ... وادٍ لثمتُ به الغَزالةَ كاعِبَا
كيفَ الرجاءُ من الخُطوبِ تخلُّصًا ... من بعدِ ما أنشبنَ فيّ مخالبَا(٢)
أوحدْتَني ووجدْنَ حُزْنًا واحدًا ... متناهيًا فجعلنهُ لي صاحبَا
ونصبْنني غرضَ الرّماةِ تُصيبُني ... محنٌ أحدُّ منَ السيوفِ مضاربَا
أظمتنيَ الدنيا فلمّا جئتُهَا ... مستسقيًا مطرتْ عليّ مصائبَا
وحُبيتُ منْ خُوصِ الرّكابِ بأسودٍ ... من دارِشٍ فغدوتُ أمشي راكبَا(٣)
حالٌ متى عَلِمَ ابنُ منصورٍ بهَا ... جاءَ الزمانُ إليّ منها تائبَا
مَلِكٌ سِنَانُ قناتِهِ وبنانُهُ ... يتباريانِ دمًا وعُرفًا ساكِبَا(٤)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها حاجب سيف الدولة علي بن منصور.
(١) الناهب: الشجاع.
(٢) الخطوب: الأمور العظام. أنشبن: علقن.
(٣) حبيت: أعطيت. الخوص: جمع أخوص، وهو غائر العينين. الدارش: جلد أسود.
(٤) يتباريان: يتعارضان. العرف: المعروف.

يستصغرُ الخطَرَ الكبيرَ لوفده ... ويظنّ دجلةَ ليسَ تكفي شاربَا[١]

كرمًا فلو حدّثْتَهُ عن نفسه ... بعظيمِ ما صنعتَ لظنّك كاذبَا

سلْ عنْ شجاعته وزُرْهُ مُسالمًا ... وحذارِ ثم حَذارِ منهُ مُحاربَا

فالموتُ تُعرَفُ بالصّفاتِ طباعُهُ ... لم تلقَ خلْقًا ذاقَ موتًا آثبَا[٢]

إن تلْقَهُ لا تلقَ إلا جحفلًا ... أو قسطلًا أو طاعنًا أو ضاربَا[٣]

أو هاربًا أو طالبًا أو راغبًا ... أو راهبًا أو هالكًا أو نادبَا

وإذا نظرتَ إلى الجبالِ رأيتَهَا ... فوقَ السهولِ عواسلًا وقواضبَا[٤]

وإذا نظرتَ إلى السهولِ رأيتَهَا ... تحتَ الجبالِ فوارسًا وجنائبَا[٥]

وعجاجة تركَ الحديدُ سوادَها ... زنجًا تبسّمُ أو قذالًا شائبَا[٦]

فكأنما كُسيَ النهارُ بها دُجَى ... ليلٍ وأطلعتِ الرّماحُ كَواكبَا

قد عسكرتْ معها الرّزايا عَسكَرًا ... وتكتّبتْ فيها الرّجالُ كتائبَا

أسدٌ فرائسُها الأسودُ يقُودُها ... أسدٌ تصيرُ له الأسودُ ثعالبَا

في رُتبةٍ حجبَ الورى عن نَيلِها ... وعلا فسمَّوه عليَّ الحاجبَا

---

(١) الخطب: الأمر العظيم.

(٢) آثبا: راجعا.

(٣) القسطل: غبار الحرب.

(٤) العواسل: الرماح. القواضب: السيوف.

(٥) الخبائب: الخيول.

(٦) العجاجة: الغبار. القذال: مؤخر الرأس.

ودعـوْهُ من فـرطِ السـخـاء مُـبـذّرًا ... ودعوْهُ من غصبِ النفوسِ الغَاصِبَا

هذا الذي أفنى النُّضـارَ مـواهبًـا ... وعِـداهُ قَـتلًا والزمـانَ تجَـاربَا

ومُـخـيِّبُ العـذّال مما أملُوا ... منهُ وليسَ يردُّ كـفًّـا خـائبَـا

هذا الذي أبصـرتُ منهُ حـاضـرًا ... مـثلَ الذي أبصـرْتُ منه غـائبَـا

كـالبـدرِ من حـيثُ التـفتَّ رأيتـهُ ... يُهـدي إلى عـينيْك نُورًا ثاقبَـا[1]

كـالبـحرِ يقـذفُ للقـريب جـواهرًا ... جُـودًا ويبـعثُ للبَـعيـدِ سـحائبَـا

كالشمسِ في كبدِ السماءِ وضَوؤها ... يغـشى البـلادَ مـشـارقًـا ومـغـاربَا

أمُـهَـجِّنَ الكُرَمـاءِ والمُزري بهِـمْ ... وتـروكَ كلِّ كـريمِ قـومٍ عـاتبَـا[2]

شـادوا منَاقـبـهُمْ وشـدْتَ مَنَاقبًـا ... وُجـدتَ مناقـبُـهُم بهنّ مـثـالبَـا[3]

لبـيكَ غـيظَ الحـاسـدينَ الرّاتبَـا ... إنا لنَخـبُـرُ من يديْكَ عـجـائبَـا[4]

تـدبيـرَ ذي حُنكٍ يُفكرُ في غَـدٍ ... وهجـومَ غـرٍّ لا يخـافُ عـواقبَـا[5]

وعطاءَ مـالٍ لـو عـداهُ طالبٌ ... أنفـقْـتَـهُ في أن تُلاقيَ طالبَـا[6]

خُـذْ من ثنايَ عليكَ مـا أسطيـعُـهُ ... لا تُلْزمنّي في الثناءِ الواجـبَـا

فلقـدْ دَهِشتُ لما فَـعَلتَ ودونَهُ ... مـا يُدهِشُ الملكَ الحَـفيظَ الكاتبَـا[7]

---

(١) الثاقب: المضيء.
(٢) هجنّه: قبّحه. أزرى: عاب.
(٣) شادوا: بنوا. المناقب: المفاخر. المثالب: المعايب.
(٤) الراتب: المقيم.
(٥) الحنك: جمع الحنكة، وهي الخبرة. الغر: الجاهل.
(٦) عداه: فاته.
(٧) الملك الحفيظ: هو الملك الذي يكتب الحسنات والسيئات.